المشرق

منشور الاب الاقدس للفرنسويين

الى اخوتنا المحترمين كرادلة ورؤساء اساقفة واساقفة فرنسة والاكليروس والشعب الفرنسي

ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزاء السلام والبركة الرسولية

ان الحوادث الخطيرة التي تتهافت في وطنكم الشريف تدعونا من جديد لتوجيه خطابنا الى كنيسة فرنسة كي تنشطها في نكباتها وتعزيها في احزانها. فان ميل قلب الاب وانعطافه نحو بنيه يكون اشد واقوى عند ما يكونون في الحزن والالم عندما وعليه اننا نرانا تقاسون الاوجاع تفيض ولا ريب من اعماق قلبنا الابوي عواطف الحنو والحب فنسير اليكم بشدة اعظم وتلطف اوفر

تلك الاوجاع ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزاء لما الان صدى مؤلم في الكنيسة الكاثوليكية كلها. لكننا نحن نشعر بها اكثر من الجميع ونشاطركم اياها بحب يناسب نكباتكم قدرًا وكانهُ يزداد كل يوم عن يوم

على ان المولى القدير قد مزج بهذه الصوم المرّة تعزية لفؤادنا عذبة وثمينة جداً . وهي التعزية التي سببها لنا تمسككم المتين بعرى الكنيسة المقدسة وانقيادكم التام لهذا الكرسي الرسولي واتحادكم المحكم وتكاتفكم الصادق . ولقد كنا على ثقة من هذا الانقياد وهذا الاتحاد لاننا كنا اعلم وادرى بشهامة وبسالة القلوب الافرنسية من ان نخشى بينكم انفصالاً او وهناً في معامع الوغى . لكن ذلك لا ينقص شيئاً من فرحنا العظيم اذ نعاين المشهد البديع الذي تمثلونه الان ونثني عليكم اسمى الثناء امام كنيسة الله كلها . واننا نشكر عن ذلك من صميم فؤادنا رب المراحم ومصدر كل خير

ومما يجعل الاستغاثة باله الجود اعظم ضرورة هو ان الحرب التي أشهرت علينا عوضاً عن ان تسكن ثائرتها لا تزال تشتد هجماتها وتتسع ساحتها . ليس الايمان المسيحي هو وحده ما يسعون الان في استئصاله من القلوب بل ايضاً كل عقيدة تجعل الانسان يرتفع فوق آفاق هذا العالم وتوجه بذاتها الحاظه نحو السماء . لم يبقَ سبيل للغرور قد اشهروا حرباً عواناً على كل ما يفوق الطبيعة علماً منهم بان وراء الحقائق الفائقة الطبيعة يوجد إله ولأن ما يحاولون نزعه من قلب الانسان وعقله هو الله

هذه الحرب ستكون عنيفة دون مهادنة ممن يسعرون نيرانها . فمن الممكن بل من المنتظر ان تشتدّ اوجاعكم وتتفاقم بلاياكم بدوام هذه الحرب وامتدادها . وعليه فمن الحكمة ان تستعدوا لها . وستفعلون لا محالة بثقة وبسالة متيقنين انكم مهما اشتدت سورة الحرب ستكونون انتم الظافرين

- وعربون ظفركم هذا هو الاتحاد . اتحادكم مع بعضكم اولاً ثم اتحادكم مع هذا الكرسي الرسولي وهذان الاتحادان يصيرانكم منيعين تتحطم دونكم كل سهام العدى

ولم يكن اعداؤنا على غير بصيرة من هذا الامر . فانهم بادئ بدء باصابة نظر عظيمة قد اختاروا هدفهم والغرض الذي يرمون اليه اي فصلكم اولاً عنا وعن كرسي بطرس ثم زرع بذر الشقاق فيما بينكم

ومنذئذٍ لم يعدلوا عن خطتهم هذه. بل لم يزالوا يعودون اليهـا حيناً بعد حين متوسلين بكل الوسائل لانجاحها فمنهم من تذرع بابرع اقاويـل التملق والتقرب ومنهم من آثر الشراسة والقحة فكم من وعود غرّارة وترغيبات بالشقاق مخجلة وكم من التهديد وسوء المعاملة كل ذلك قد جروا عليهِ وعملوا بـهِ لنوال بغيتهم . لكن ثباتكم وامانتكم النيرة قد اذهبت مساعيهم ادراج الرياح

فعندما ارتأوا ان احسن الوسائط لفصلكم عنا هي ملاشاة تعلقكم بالكرسي الرسولي. فما ترددوا في ان يشنعوا بافعالنا في الندوة وفي الجرائد مستجهلين حسن نياتنا وبعض الاوقات مفترين علينا الافتراءات الكاذبة

زعموا ان الكنيسة تسعى في اسعار نار الحرب الدينية في فرنسة وان الاضطهادات العنيفة هي غاية ما ترغبه. فياما اغرب هذه التهمة. الكنيسة التي قد انشأها من اتى العالم ليسكن هائجه ويصالح الانسان مع خالقه. الكنيسة رائد ورسول السلام بين الناس لا تستطيع ان ترضى بالحروب الدينيـة دون ان تجحد دعوتهـا السامية وتكذبها في اعين الجميع . وهي على عكس ذلك لم تزل ولن تزال محافظة كل المحافظة على هذه الخطة خطة الوداعة وطول الاناة والمحبة

على ان العالم كلهُ يعلم اليوم علم اليقين ان سكينة الضمائر ان كانت قد اضطربت في فرنسة فما ذلك فعل الكنيسة بل اعداء الكنيسة. واصحاب العدل والانصاف حتى الذين لا يعتقدون معتقدنا يقرّون بانهُ ان ثارت الان في وطنكم العزيز حرب دينيـة فليس ذلك لان الكنيسة قد رفعت راية المناضلة والمعاداة بل لان اعداءهـا هم الذين جاهروا بالحرب واشهروها عليها

تلك الحرب لا تزال الكنيسة تقاسي مضضها لاسيما من خمس وعشرين سنة . هذا هو الحق يثبته كل ما نُشر وأُعيد مرارًا نَشرهُ في الجرائد وفي المؤتمرات وفي المجتمعات الملسونية وفي الندوة الافرنسية ذاتها. يثبته ايضاً الطعن الذي وُجه عليهـا بطريقة منتظمة متواصلة وبعنف كان يزداد يوماً بعد يوم

هذه كلها امور جلية لا يمكن انكارها ولا يقوى على تكذيبها قول قائل. نعم ان الكنيسة لا ترغب في الحرب والحرب الدينية تكرهها اكثر من سواها ومن قال عكس ذلك فقد اهانها وافترى عليها كذباً

وكذلك لا ترغب الكنيسة في الاضطهادات العنيفة. انها تعرف ما هي الاضطهادات فانها كابدت اهوالها في كل زمان ومكان. هي التي عاشت قروناً عديدة خانضة في دماء ابنائها يحق لها ان تقول بعزة مقدسة انها لا ترهب اضطهاداً وانها كلما قضت الاحوال بهِ تقبلهُ وتقاسي مضضه

لكن الاضطهادات في ذاتها هي شرّ من حيث انها جور وظلم ولانها تعيق الانسان عن ان يعبد ربَّهُ براحة وحرية. فلا تستطيع الكنيسة ان ترغبها حتى ولا لاجل الخير الذي تنتجهُ العناية الالهية في حكمتها السامية بواسطتها

وعلاوة على ذلك ليست الاضطهادات شرًّا فقط فانها ايضاً عذابٌ وألم. وهذا داعٍ آخر يحمل الكنيسة أحن الامهات على ان تكره الاضطهادات رحمةً بنيها وشفقةً عليهم

ولكن ذلك الاضطهاد الذي يتهمون الكنيسة بالدفع اليهِ والذي يعلنون بانهم لا بدّ سيحرمونها من مجده هو في الحقيقة امر واقع ينالها. أما انهم من ايام قلائل قد طردوا الاساقفة من دورهم حتى اجأهم بالعمر وبالفضيلة؟ ألم يمنعوا شمل طلبة الكهنوت من المدارس الاكليريكية الكبرى والصغرى ؟ اما شرعوا الان بنفي كهنة الرعية من بيوتهم ؟ فلعمري ان العالم الكاثوليكي كله قد نظر الى هذا المشهد بحزن عظيم ولم يتردد في تسمية هذه الفعال الفظيعة بالاسم الذي يليق بها

اما بخصوص الاملاك الكنائسية التي اتهمونا باننا تركناها فيجب الانتباه الى ان هذه الاملاك منها ما كان ملك الفقراء ومنها ما كان مخصصاً ووجه اقدس لمساعدة انفس المتنيحين. فما كان اذًا يسوغ للكنيسة لا ان تتركها ولا ان تسلمها. وما كان لها الا ان تراها تُنتزع من يدها كرهاً بالقوة والعنف

ومن يا ترى يصدق انها باختيارهـا وبدون ان تقضي عليها احكام لا مناص منها قـد تخلّت عما كانت أودعته على تلك الصفة وما كانت اليـه في حاجة ماسة لممارسة العبادة والعناية بالبنايات الدينية وتهذيب طلبة الكهنوت والقيام بمعيشة خدمة المذابح . انها لما أُجبرت بدهاء الدهـاة على ان تختـار بين الخراب المادي والمخالفـة برضى لقوانينها التي هي من الله عندئذ فقط رضيت بألم الفقر ولم تسمح بالتعدي على حقوق الله فيها . ومن ثمّ قد سُلبت منها املاكها سلبًا وليست هي التي تخلت عنها

وبناء عليه من زعم ان الاملاك الكنائسية سهلة في زمن معين لان الكنيسة في ذلك الزمن لم تنشئ في داخليتها هيئةً جديـدةً واشترط ان تكون تلك الهيئة الجديدة في حالة تخالف مخالفة بينة لنظام الكنيسة الالهي بحيث ترضى الكنيسة بان ذلك النظام يخول تلك الجمعيات حقوقاً من شأن السلطة الكنائسية ان ترفضهـا ثم اعطى تلك الاملاك لغرباء كأنها اصبحت لا مالك لها واخيرًا اعلن انهُ بعمله ذلك لم يسلب الكنيسة بل انما تصرف باملاك تركتها وتخلت عنها فهذا ليس فقط يستند في مزاعمه الى حجج ساقطة واهية بل علاوة على ذلك يقرن الهزء والسخرية باقسى الغصب واقطع الجور . نعم هو اغتصاب واختلاس . وقد سعى باطل السعي من حاول التمويه في امره اذ زعم انهُ لم يوجد هيئة ادبيـة يمكن ان تتعلق بها تلك الاملاك . فان الدولة لها ان تعطي الشخصية المدنية لمن يقتضي الخير العام ان تعطى له وللمؤسسات الكاثوليكية كما لسواها . وعلى كل الاحوال قد كان يسهـل على الدولة ألّا تشترط لتأليف الجمعيات الدينية المقامة لخدمة الكنيسة شروطاً تناقض مناقضة صريحة نظام الكنيسة الالهي

والحال ان هذا هو بالذات مـا فعله في ما يتعلق بالجمعيات الدينيـة فان ما قرره النظام بشانها قد جعلها تعاكس معاكسة بينة حقوق الكنيسة الجوهرية الاساسية ولاسيما حقوق الرئاسة الكنائسية ذلك الاساس الذي اقام الله نفسه كنيسته عليه ولا ينقض . فضلًا عن ان هذا النظام شطّ اي شطط ان كان في امر ممارسة العبادة او في

شان الاملاك وامتلاكها وتدبيرها . واخيرًا ليست هذه الجمعيات خارجة عن دائرة السلطة الكنائسية مستقلة عنها فقط بل انها فوق ذلك قد جُعلت تحت سيطرة وحكم السلطة المدنية . وهذا هو الذي حملنا في رسائلنا السابقة على رفض ورذل هذه الجمعيات المذهبية رغمًا عن الخسائر المادية الجسيمة التي يسببها ذلك الرفض

وقد نسبونا الى التعجب ومناقضة اعمالنا باعمالنا فزعموا اننا رفضنا ان نسمح في فرنسة بما قد سُمح بهِ في المانية . هذه ايضًا تهمة باطلة لا حظ لها من الانصاف فانهُ وان كان النظام الذي سُنَّ في المانية يستوجب الرفض من اوجه عديدة وما قبل الكرسي الرسولي الّا التساهل بهِ فقط رغبةً في منع شرور اعظم فمع ذلك يوجد بون عظيم بين الحالتين والنظام الذي سنتهُ المانية يعترف اعترافًا صريحًا بالرئاسة الكاثوليكية على خلاف ما ترى في النظام الافرنسي

اما التبليغ السنوي لممارسة العبادة فانهم لمّا طلبوه منا لم يقدّموا لنا الضمان والتأمين القانوني كما كان حقنا ان ننتظر

على انهُ ولو كان وجود عباد الله في الكنائس ليس لهُ مبدئيًا صفات الاجتماعات المدنية فيعامَل معاملتها وان كان تنزيله منزلتها ضربٌ من الاهانة فان الكنيسة ربما كانت اخيرًا تساهلت ورضيت بهِ ولكن اذ قرروا ان خوري الرعية او خادم الهيكل لا يكون من الان وصاعدًا في كنيستهِ الّا كمنتفع ليس لهُ شيء من الحقوق القانونية ولا يستطيع ان يباشر اي عملٍ اداري كان جعلوا خدمة الدين عند ممارسة وظائفهم نفسها في حالة مهانة محتقرة مبهمة بحيث ان الكنيسة اصبحت لا تستطيع الرضى بذلك التبليغ

بقي القانون الذي صادقت عليهِ الندوتان . فان نظرتَ اليهِ من حيث الاموال الكنسية والاوقاف وجدت انهُ قانون اغتصاب واستصفاء اذ اتمَّ تجريدَ الكنيسة عن مقتناها . نعم ان منشئها الالهي ولد فقيرًا في مذود ومات فقيرًا على صليب وهي ايضًا قد ألفت الفقر منذ مهدها الا ان الاموال التي كانت في ايديها كانت تملكها ملكًا تامًا ولم يحق لاحد ان ينتزعها من حكمها . وملكها هذا المبني على حقوق راهنة من كل

وجه كانت الحكومة نفسها قد قررتهُ واثبتتهُ فلم تستطع ان تنهك حرمته

واذا اعتبرتَ هـذا القانون من حيث الدين وواجباته المقدسة وجدته يبلبل كل نظـام . اما الذي احدثهُ فالارتياب والتحكم . ترتاب العقـول وهي لا تعلم ما يجري بمعابد الدين اذ تكون عرضة في كل وقت لان تخصَّص لغير غايتها المقدسة واليوم يجهـل ارباب الدين والمؤمنون ابتقى هذه المعابـد في حوزتهم والى اي زمن . اما التحكم فيظهـر من الشروط التي اشترطوها للتمتع بهذه المعابـد وهي شروط واهنة لا اساس لها . فان القيـام بالفرائض الدينية ليختلف في فرنسة على اختلاف مديرياتها ونواحيها لا بل يصبح الكاهن في كل رعية تحت حكم الدائرة البلدية ومن ثمَّ يكون الخصام على الدوام ممكناً بينهما وذلك في كل اطراف الدولة . وعلاوة على ذلك يلزم الكاهن ورعيتهُ ان يقوموا بكل الاعباء مهما كانت ثقيلةً في وقت ما تُحصر المالية المختصة بها حصرًا فاحشاً . فـلا عجب اذا كان هذا القانون الذي سُنَّ الامس قـد اصبح اليوم هدفاً لانتقادات عديدة ومرَّة وجّهها الى مشترعيه رجالٌ من كل الاحزاب السياسية على اختلاف معتقداتهم الدينيـة وكفاك بهـذه الانتقادات دليلًا للحكم على غاية وماهية هـذا القانون

فما اوردنا لكم ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزاء يسهل عليكم ان تدركوا كم تتفاقم بهذا النظام وطأة النظام المسنون سابقاً في فصل الكنيسة ومن ثم لا نستطيع الَّا نبذه وتزييفه

وان اعملتَ النظر في نص بعض بنود القانون المذكور وجدتهُ مشتبهاً مبهماً غير مدقق فيلوح لكل ناظر غرضُ اعدائنا من تدوينه . وما غايتهم الا ان يقوّضوا اركان الكنيسة ويسلبوا فرنسة دينهـا المسيحي كما قلنا سابقاً . وذلك بحيث لا يشعر الشعب ولا يعير الامر بالاً . فلو كان مشروعهم يعتقده القوم خيرًا لهم كما زعموا لما تردَّدوا في متابعته على عيون الاشهاد وفي قبول المسئولية على نفسهم علانيةً . ولكن هيهات ان يرضوا بهذه المسئولية بل تراهم يبرئون نفوسهم منها وينبذونها عنهم ولبلوغ هـذه الغاية يلتجئون

بطانلها على الكنيسة ضحيتهم. فهذه لعمري اقوى حجة واظهر بينة على ان عملهم عمل مشؤوم فاسد لا يرضى بهِ الوطن. وعليهِ بئس ما يصنعون اذ يسعون بتضليل العقول زاعمين انهم لمَّا اضطرونا بالرغم عنا ان نزيف السنن التي وضعوها صرنا المطالبين بالويلات الحاضرة التي جرُّوها على وطنهم. وقد رذلها كل ذي عقل صائب حتى صار نفور الجميع منها اشبه ببحر تتهددهم امواجه المتعاقبة. لكن شكايتهم في حقنا باطلة لا تأتيهم بجدوى

اما نحن فقد قمنا بواجباتنا المقدسة كما كان فعل غيرنا من الاحبار الرومانيين لو كان في مقامنا فان الرتبة السامية التي شاء العلي ان يرقينا اليها على غير اهلية منا لا بل بمجرد ايماننا في السيد المسيح قد قضى علينا بان نسلك كما سلكنا. وما كنا لنجري على خطة اخرى دون ان نطأ تحت الاقدام واجبات الذمة ونحنث باليمين الذي اقسمنا بهِ يوم جلوسنا على السدة البطرسية ودون ان ننقض نظام السلطة الكاثوليكية الذي وضعهُ ربنا يسوع المسيح لكنيستهِ ومن ثم نحن منتظرون دون خوف حكم التاريخ في استقامة طريقتنا. فسوف يقول يوماً اننا شخصنا بانظارنا الى الله لندافع عن حقوقهِ العلوية ولم نقصد البتة ان نذلل السلطة المدنية او نعارض احدى هيئات الحكم والسياسة. وانما كانت غايتنا ان نصون من كل يد اثيمة البناء الذي شيده سيدنا ومعلمنا يسوع المسيح. سيقول التاريخ اننا ذببنا عنكم ايها الابناء الاحباب بكل استطاعة تعطفنا المستفيض وانَّ غاية ما طلبناه وما لا نزال نطلبهُ للكنيسة جمعاء. وكذلك لكنيسة فرنسة التي هي ابنتها البكر واحد اقسامها المعدودة انما هو صيانة نظام سلطتها الدينية وعدم انتهاك حقوقها في اموالها واستقلالها. فلو كان مطلوبنا هذا مرعيًا كما أُصيب السلام الديني في فرنسة بخلل وايَّ يوم يرضخ لهذا المطلوب اهل الامر سوف يعود هذا السلام المرغوب. وسيقول التاريخ اخيرًا اننا لمَّا صرحنا لكم لعلمنا بمروءتكم وشهامة نفوسكم ان ساعة تضحية النفس قد دقت انما اردنا ان نعلن باسم الرب الضابط الكل انهُ ينبغي للانسان في عالمهِ الحاضر ان

يشغل نفسه بشواغل اسمى وارفع من امور هذه الحياة الزائلة وان الفرح الاقصى وسرور النفس الثابت في هذه الارض انما هو القيام بالواجب يتممهُ الانسان بنعمته تعالى رغمًا عن كل العوائق فيعظم خالقهُ ويعبده ويحبه دون ان يعبأ بشيء.

ولما كانت ثقتنا بالسيدة الطاهرة ابنة الاب ووالدة الابن وعروسة الروح القدس ان تنال لنا من الثالوث المقدس المسجود لهُ اياماً اسعد وايمن نهديكم من صميم الفؤاد كعربون السلام والهدوء بعد الانواء. كما لنا الامل بركتنا الرسولية لكم ايها الاخوة المحترمون ولجميع اكليروسكم ولكل الشعب الفرنسوي

أُعطي في رومية بجوار كنيسة القديس بطرس في يوم عيد القطاس ٦ كانون الثاني سنة ١٩٠٧ وهي السنة الرابعة لحبريتنا

بيوس العاشر

المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة

للاب هنري لامنس مدرّس التاريخ والجغرافية في المكتب الشرقي

تمهيد

تجوّلنا في انحاء لبنان مع قرّائنا الكرام فسرّحوا معنا الابصار في ما يحتويهِ هذا الجبل من الآثار فوجدوا في هذا النظر فائدةً ولذّة . ومذ ذاك الحين ألحّوا علينا بان نوسّع نطاق ابحاثنا فتشمل بدروسنا كلّ انحاء الشام فها نحن نلبّي ملتمسهم ونباشر كتابة فصول متتابعة في هذا الشأن نُطلق عليها اسماً جامعاً فندعوها « المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة »

وقبل ان نُقدم على العمل ندوّن هنا خلاصة مشروعنا ليكون القرّاء على بيّنة مما قصدناهُ . نفتح اليوم مياق مذاكرات شتّى نتابعها على صفحات المشرق بسرعة كافية مع مراعاة الظروف والاحوال . ويكون ابتداء كلامنا في ابحاث عمومية عن موقع سوريَّة الجغرافيّ وما ناتتهُ هذه البلاد في سالف الزمان لفضل مركزها من المنافع والمرافق وما ينتظرها ايضاً بسببهِ في المستقبل من النجاح . ثمَّ ننتقل الى وصف صورتها وتخطيطها ثم نذكر جبالها ومياهها مع البحر الذي يماسُّ سواحلها ثمَّ نصف مواليدها